

نفحات القرآن

[181] دعوة الأنبياء العامة إلى الله الواحد إنَّ آية البحث الأولى تشير إلى تاريخ الماضين من الأنبياء وتقول : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) . أجل فإنَّ الأنبياء جميعاً كانوا ينادون بالتوحيد ويدعون الناس إلى الله الواحد ويشهد تاريخهم بهذا الأمر ، فكيف يعقل أن يكون للشرك حقيقة وجميع الأنبياء يدعون إلى التوحيد ؟! فهل كان هناك إله آخر ولكذبه لم يعرف نفسه ؟ أو أنَّ الرسل قصَّروا في إبلاغ أمره ؟ والعقل السليم لا يُقرُّ بقول من هذه الأقوال . وكما يقول بعض المفسِّرين : يقوم القرآن الكريم في آيات هذه السورة (الأنبياء) بالإستدلال العقلي أوَّلاً لإثبات التوحيد : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَآتَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّ الْبَشَرَ حَتَّى يَذْكُرُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ مُبْدِئَ الْخَلْقِ) (النحل : 22) . ثمَّ بالدليل النقلى (آية البحث) حيث دعا جميع الأنبياء الماضين إلى التوحيد(1) . * * * أمَّا الآية الثانية فهي : تطرح هذا المضمون في إطار آخر حيث تخاطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (المراد هم الناس طبعاً) وتقول : (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) . وقد احتمل المفسِّرون عدَّة احتمالات في كيفية أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يسأل الأنبياء السابقين مع عدم حضور أحدهم في عصره ، فقد قال البعض : أنَّ المراد هو السؤال من الأمم السابقة كي تثبت القضية عن طريق الخبر المتواتر ، فالأُمم حذَّى التي تعتقد بالتثليث وأمثاله ، عندما تسأل عن ذلك فإنَّها تعلن عن _____ 1 - تفسير القرطبي :

ج 6 ص 4320 .